المنافسة البريطانية الروسية على بلاد فارس

((١٨٦٠ ـ١٩١٧م))

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الأمير هويدي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

المنافسة البريطانية الروسية على بلاد فارس((١٨٦٠- ١٩١٧م))

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الأمير هويدي

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

المقدمة:

أزداد النشاط الروسي واحتمال تقدمهم نحو الخليج العربي، وشغل رجال السياسة في بريطانيا وذلك بعد أن أصبح الهدف الأساس للقياصرة الروس منذ عهد بطرس الكبير[١](١٦٨٢ـ ١٧٢٥م)، إذ كان حلم روسيا الوصول إلى المياه الدافئة، وتباين اهتمام الدبلوماسيين والساسة الروس بالخليج العربي جراء التغلغل الروسي الناجح إلى إيران عند تخوم القرنين التاسع عشر والقرن العشرين وتصادم المصالح الاستعمارية الروسية والبريطانية في هذه المنطقة وسعي القيادة الروسية إلى استثمار سمعة روسيا لدى الشعب العربي وتعاطفها مع العرب في رغبتهم الخلاص من السيطرة العثمانية ورغبتها في إقامة علاقات جيدة وخاصة بعد حرب القرم (١٨٥٣– ١٨٥٦م) بين روسيا والدولة العثمانية، فقد استفادت القيادة الروسية في منطقة الخليج العربي من ذلك وعملت على فتح ممثليات وقنصليات عديدة في إمارات الخليج العربي وكانت بداية المنافسة البريطانية الروسية على بلاد فارس ونهاية هذا النزاع بعقد معاهدة كولستان في ١٢ تشرين الأول ١٨١٣م[٢]، وفي عام ١٨٨١م حصل الروس على امتيازات إنشاء طرق أذربيجان، ويعد عام ١٩٠٠ م نقطة انطلاق لمشروعات الاستطلاع الروسية الرامية إلى معاينة المناطق التي يمتد إليها مشروع الخط الحديدي الذي يربط بين الأقسام الشمالية في بلاد فارس وموانئ الخليج العربي وبخاصة بوشهر وبندر عباس.

وتناول البحث بداية المنافسة البريطانية الروسية على بلاد فارس ثم دراسة عن الوفاق الروسي – البريطاني،ومن ثم التوصل إلى عقد اتفاق بين الدولتين تم بموجبه تسوية جميع الخلافات الرئيسة في الخليج العربي، وتم تقسيم بلاد فارس بموجبه إلى ثلاث مناطق، شمالية تحت النفوذ الروسي، وجنوبية تحت النفوذ البريطاني، أما المنطقة الوسطى فقد جعلت منطقة حيادية.

تمهيد:

تحتل بلاد فارس بحكم موقعها مكانة استراتيجية مما يجعلها موضع اهتمام الكثير من الدول الطامعة والغازية للخليج، إذ أن الخليج العربي سيظل يسيطر على

الاستراتيجية في منطقة الشرق العربي، ففيه الموانئ والمراكز البحرية والحيوية الرئيسة إلى الشرق، وفيه محطات الوقود اللازمة للأساطيل البحرية، والدولة التي تفرض نفوذها عليه تتمكن حتماً من نشر نفوذها إلى جزيرة العرب وأفريقيا، وتتمكن من قطع طرق المواصلات المؤدية إلى الهند.

ويقول المؤرخ أرنولد ويلسون أن الخليج أصبحت له بعض الأهمية في عهد ملوك الفرس الساسانيين ولكن لم تصبح له المكانة المرموقة كطريق بحري مهم للتجارة إلا بعد قيام الدولة العربية في القرن السابع الميلادي. ويؤكد المؤرخ عدم السيطرة الفعلية للحكومة الفارسية حتى على السواحل الفارسية في الفترة من عهد الملك سابور الثاني في القرن الرابع قبل الميلاد[٣]). كما أكد ويلسون المقيم البريطاني أن الإمبراطورية الفارسية نفسها تقلصت حدودها كثيراً بعد الفتح الإسلامي لها، حيث أصبحت إقليماً من أقاليم الدولة الإسلامية التي استمر نفوذها منذ بداية القرن السابع حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

ولم يكن لفارس في أثناء هذه الفترة أي كيان سياسي قائم بذاته، وفي بداية القرن السابع عشر أصبحت لإيران بعض السيطرة الشكلية في جزر البحرين ولكن هذه السيطرة الشكلية زالت كلياً في عام ١٧٨٣ م، حيث استطاع شيوخ البحرين من آل العتوب السيطرة على البحرين وطرد النفوذ الفارسي الشكلي منها[٤]، حيث جاء في تقرير الضابط جون مالكوم(**Captain John Malcolm**) وكان آنذاك يشغل منصب المقيم البريطاني في ميسور(**Mysore**) وكان يعد من الخبراء في شؤون الخليج العربي، حيث أكد في تقريره إلى السيد دمستون(**Domiston**) الحاكم العام لحكومة الهند الشرقية في ١٢ / آب / ١٨٠٧ م(ضرورة حصول بريطانيا على موطئ قدم ثابتة في بلاد النهرين من أجل منع أي هجوم لقوة أوربية على الهند في ذلك القطاع، وأضاف أن كلاً من فارس والدولة العثمانية يمكن عدها أقوى حاجز للهند البريطانية، وتحطيم أي منهما من قبل قوة أوربية سيعرض الهند للخطر)[٥]، عُد عدد كبير من أجزاء الدولة العثمانية وأقطار المشرق العربي التي يقع ضمنها الخليج العربي هدفاً استراتيجياً مهماً للإمبراطورية العثمانية لما تمتاز به المنطقة من ثروات طبيعية هائلة، وموقع استراتيجي مهم، لذلك كان الصراع الروسي - العثماني ثم التغلغل الألماني في الدولة العثمانية محط أنظار ساسة بريطانيا وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وقد ازدادت الأهمية الاقتصادية لمنطقة الخليج العربي باكتشاف النفط وما رافقه من فوائض مالية كبيرة يؤازرها في ذلك فراغ سكاني وإنتاجي وفرص عمل غير محددة. كلها عوامل ومميزات جعلت هذه المنطقة محط أنظار وأطماع الدول الأجنبية فغزتها الأقوام وتصارعت على سواحلها الدول .

المبحث الأول

المنافسة البريطانية الروسية على بلاد فارس

أضحت السياسة الاستعمارية الحديثة التي أقدمت عليها روسيا في الشرق الأوسط تقلق بال بريطانيا وأدت إلى ظهور المنافسة بين الدولتين.

فقد ذكر المؤرخ(د. س. بولغر): (بأنه لم تكن ثمة منافسة بين بريطانيا وروسيا قبل التوقيع على معاهدة كولستان[٦]، تلك المعاهدة الروسية – الفارسية المنعقدة عام ١٨١٣م)[٧]، التي كانت دليلاً على ولادة التنافس والذي يؤيده الوضع الدولي السائد حينذاك في المشرق والمغرب.

وحتى عام ١٨١٣م كانت بريطانيا مشغولة بمكافحة نابليون راغبة في استمالة روسيا إلى جانبها، كما أنها لم تكن شاعرة بأي خطر للانتصارات الروسية وأنها عندما عقدت معاهدة تحالف مع فارس عام ١٨٠١م[٨]، تجنبت الوعد بتقديم أية مساعدة إلى حليفتها في حالة اعتداء روسي عليها، فلما حدث الاعتداء فعلاً بعد عقد المعاهدة بأربع سنوات،في سنة ١٨٠٥ أرسل فتح علي شاه مبعوثا له إلى الهند يطلب مساعدة ضد روسيا من السلطات البريطانية لكن مبعوث الشاه لم يلق أي تجاوب حيث وقفت بريطانيا على الحياد تاركة الفرس ومصيرهم[٩].

ولم يكن جون مالكولم وهو من أساطين السياسة الإنكليزية يطمح إلى أكثر من إيجاد نوع من التفاهم بين الدولتين الروسية والفارسية، ولم يكن يدري بما يجب أن تقوم به بريطانيا إذا ما رفضت روسيا التفاهم المنشود[١٠].

وأخيراً انتهى ذلك النزاع الروسي – الفارسي بمعاهدة(كولستان) التي عقدت بين الطرفين في ١٢ تشرين الأول سنة ١٨١٣م بناءً على طلب حاكم كرجستان الروسي.

وكانت هذه المعاهدة كارثة على فارس، إذ تخلت لروسيا بموجبها عن دربند وباكو وشيروان شاكي وقرة باغ وجزء من تاليش، وأقلعت عن أي ادعاء بكرجستان، وداغستان، ومنفوليا، وايمرشيا وابخاسيا، كما إنها وافقت ضمناً على أن لا يكون لها أسطول في بحر الخزر[١١]، هذه المعاهدة أنهت النزاع الطويل الذي نشب بين روسيا وفارس خلال المدة من ١٨٠٤ - ١٨١٣م[١٢] وهي فاتحة النفوذ الروسي في الخليج العربي.

لم تكن هذه المعاهدة بأية صورة فاتحة نزاع بريطاني – روسي في الخليج العربي أو أية منطقة من مناطق الخليج وبلاد فارس. فهي إنما عقدت بواسطة السفير البريطاني في طهران، وهي لم تكن تتعارض وسياسة بريطانيا الخارجية.

فالسياسة البريطانية كانت موجهة لدرء خطر نابليون، وكان غير هذا الهدف في ميدان السياسة الخارجية أمراً ثانوياً في نظر الإنكليز، لا بل في نظر معظم الدول الأوربية، ففي٢٨ شباط عام ١٨١٣م تم عقد معاهدة (كاليش **Kalisz**) الدفاعية

الهجومية بين روسيا وبروسيا. وفي آذار من تلك السنة تعهدت بريطانيا بدفع مساعدات مالية إلى السويد لقاء قيام هذه الدولة على نابليون. ثم في شهر حزيران وللغرض نفسه أيضاً تعهدت بريطانيا بدفع مساعدات مالية لكل من روسيا وبروسيا.

وحتى أواخر عهد نابليون، في آذار سنة ١٨١٥م - أبان فترة المائة يوم - عقد تحالف رباعي بين بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا للقضاء على عدوهم المشترك، وعلى هذا فأن ما حدث في تلك الآونة من تسوية روسيا لعلاقتها بالدولة الفارسية، وبالدولة العثمانية أيضاً[١٣]، لم يكن مما يدعو بريطانيا إلى القلق بل يدعوها إلى الارتياح لتفرغ حليفتها روسيا إلى توجيه جهودها ضد نابليون. وهكذا يتضح لنا بأن المدة من(١٨١٣ – ١٨١٥م) لم تشهد ما يدل على ولادة تنافس بريطاني - روسي. ويلاحظ أن السياسة الروسية في هذه المرحلة أخذت تخطب ود فارس في السماح لها لإيجاد منفذ يمر من فارس إلى الخليج العربي ذي المياه الدافئة مستفيدة من معاهدة (كولستان ١٨١٣م) التي انتزعت روسيا بموجبها بعض المناطق في شمال فارس.

وعندما شعرت بريطانيا بأن محاولات روسيا في إخضاع إيران تتعدى الغرض التجاري إلى ضمان الحصول على منفذ إلى الهند عن طريق الخليج العربي وأواسط آسيا، أخذت تفكر في اجتذاب ألمانيا إلى جانبها في حالة وقوع صراع بينها وبين روسيا.

وقد ازداد نشاط الماليين الروس المدعم بالتعضيد السياسي في (مصرف بنك الخصم والقرض الروسي في عام ١٨٩٠م) سعياً وراء الحصول على امتيازات من فارس والدولة العثمانية كمشروع (كابينيت) لمد سكة حديد من البحر الأبيض المتوسط إلى الكويت والتي كانت الشائعات تدور بأنه سيعتمد على الألمان من ناحية المهندسين والتمويل، وقد أقلقت هذه المحاولات الروسية الأوساط البريطانية[١٤].

ومن هنا يمكننا القول أن تبدلاً جوهرياً حدث في السياسة الروسية وذلك في أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وذلك حينما أقدمت روسيا من جديد على التدخل في شؤون الدولة الفارسية والدولة العثمانية أيضاً مما أقلق بال بريطانيا وأثار حفيظتها فكانت عندئذ البداية الحقيقية للتنافس بينها وبين روسيا في هذه المنطقة(الشرق الأوسط)[١٥].

فالحرب التي نشبت بسبب مشاكل الحدود بين روسيا وفارس خلال المدة (١٨٢٦–١٨٢٨م) انتهت باندحار الفرس، وعقد معاهدة (تركمانجاي)،والذي تم عقده بين روسيا وفارس في تركمانجاي هي في الحقيقة معاهدتان واحدة تدعى سياسية وهي المهمة والتي تقصد عادة عند ذكر معاهدة تركمانجاي، والأخرى تجارية[١٦]، ولقد أقرت المادة الأولى والثانية منها حلول السلم والصداقة بين الطرفين، والاستعاضة بالمعاهدة الجديدة عن معاهدة كولستان. وبموجب المواد الثالثة، والرابعة، والخامسة، حصلت روسيا على مدينتي اريفان وناخجيفان، وعدلت الحدود بين الدولتين بحيث أصبح في الجانب الروسي جميع الممتلكات التي حصلت عليها روسيا قبلاً بموجب

معاهدة كولستان[١٧].

ونصت المادة السادسة على أن تدفع الدولة الفارسية غرامة حربية قدرها (خمس ملايين تومان أي مايعادل عشرون مليون روبل روسي) ولم تتنازل روسيا بغير الاعتراف، في المادة السابعة بالأمير عباس مرزا ولياً لعهد المملكة الفارسية. وفي المادة الثامنة أجيز لكلتا الدولتين (إنزال السفن التجارية في بحر الخزر، إلا أنه لم يسمح إلا لروسيا بإنزال السفن الحربية). أما المواد الثماني الأخرى (إذ كانت المعاهدة تتألف من ست عشرة مادة) فأنها لم تكن بذات أهمية كبيرة نسبياً. فلقد كانت تتعلق بالتمثيل السياسي، وحماية التجارة ودفع الدين الفارسي لروسيا، وتسوية المشاكل الناجمة عن تعديل الحدود وقضية أسرى الحرب، وإعلان العفو، وتصديق المعاهدة[١٨].

ولقد ضمنت المعاهدة التجارية[١٩]، إلى جانب ذلك تعهدات متقابلة لتسهيل التجارة وحمايتها بين الدولتين، واستيفاء رسوم كمركية لا تزيد على الخمسة بالمائة، كما أنها حددت ما يتمتع به ممثلو كل دولة في الدولة الأخرى من امتيازات. وسجلت تعهد كل منهما بحماية ما في منطقة نفوذها من أملاك وأرواح رعايا الدولة الأخرى، هذه هي معاهدة تركمانجاي التي أنذرت في عام ١٨٢٨ م بحلول المنافسة بين بريطانيا وروسيا في الشرق الأوسط[٢٠].

وقد أشتد ذلك النشاط في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكنه تحول من الطابع العسكري إلى الطابع السياسي بعد معاهدة (تركمانجاي)، واستمر النهب الروسي للأراضي الفارسية تحت غطاء التعاون الودي علماً أن بلاد فارس كانت تقدم المساعدات للقوات الروسية التي كانت تعمل في الجبهة العثمانية بحجة القضاء على القبائل التي يعدها الطرفان عدواً مشتركاً، ولكن النشاط الروسي أمتد إلى مناطق تدين بالولاء لفارس، فقد دارت المباحثات بين بلاد فارس وروسيا بشأن الحدود وتوصل عام ١٨٦٩م إلى اتفاق يقضي بأن يكون نهر (أترك **Attrek**) من مصبه عند تشكلار على بحر قزوين إلى نقطة التقائه مع نهر (سومبار **Sonpar**) عند (شات **Chat**) الحد بين الدولتين وأعطى هذا الاتفاق الشاطئ الأيمن من النهر لروسيا والشاطئ الأيسر لبلاد فارس[٢١].

وأما المعاهدة الثانية فكانت المعاهدة السرية لعام ١٨٨١م بشأن تحديد نفوذ كل منهما، وقد نصت المعاهدة على مد الحدود الروسية من بابا دورماز **Baba Dormaz** إلى منطقة تبعد مسافة(٨) أميال شمال سرخس الجديدة **New Sarkhs** واعترفت بلاد فارس بتبعية تركمان وادي أتك **Attek** لروسيا وعدم مطالبة الفرس بدفع الضرائب لها[٢٢].

وإزاء التهديد الروسي وافقت الحكومة الفارسية على المعاهدة الروسية على مضض وأخذت تتحين الفرصة المواتية لمفاتحة روسيا من جديد بشأن الوصول إلى حل مرضي لمشكلة الحدود الشمالية الشرقية، وفي صيف ١٨٨١م طالبت الحكومة

الفارسية روسيا بعقد مزيد من المباحثات بين الطرفين، وتذرعت الحكومة الروسية بأن الاستكشافات الأولية بشأن الحدود لم تستكمل بعد، وأن المساحين الروس لا يستطيعون العمل في تلك المناطق خلال الصيف لحرارته المرتفعة. ولكن الحكومة الفارسية كررت طلبها مراراً[٢٣].

وأخيراً وافقت الحكومة الروسية على الطلب الفارسي وعينت الجنرال زيلينو **Zelenoi** للتباحث مع الفرس وأذيع بأنه سوف يتحرك إلى استر آباد خلال شهر كانون الأول ١٨٨٢م، وعينت الحكومة الفارسية من جانبها سليمان خان حاكم استر آباد السابق[٢٤].

ولم يكن الإجراء الروسي في حقيقته إلا خطة لكسب مزيد من الأراضي الفارسية وخاصة تلك التي تقع بالقرب من مصب نهر أترك في بحر قزوين، ومع ذلك فقد أعلن في سنت بطرسبورج أن بعثة الحدود الروسية لا تستطيع الاجتماع بالبعثة الفارسية قبل ربيع ١٨٨٣م نظراً لأن الخرائط كانت غير جاهزة وأن الشتاء قد تقدم كثيراً وأصبح غير ملائم للعمل[٢٥].

وقد تمثلت مطالب الفرس فيما يلي:

أ. سيطرة الفرس على خليج حسين قولي **Hussein Kuli** على مصب نهر أترك في بحر قزوين.

ب. انسحاب المواقع الروسية من مقاطعة كلتش شينار **Keltch Chenar** على نهر قاشان وعدها من ضمن الأراضي الفارسية.

ج. دمج أراضي عشائر الياموت في إدارة استر آباد الفارسية[٢٦].

وأخيراً رضخت الحكومة الروسية أمام إلحاح الحكومة الفارسية وتقدمت بعثة الحدود الروسية الفارسية المشتركة لتخطيط حدود الدولتين، وقامت أولاً بمسح المنطقة المجاورة لتشكسلار سعياً لتخطيط حدود المنطقة القريبة من مصب النهر. ومن خلال المعاينة، وجد أعضاء البعثة أن خليج حسين قولي يتبع روسيا لأنه يقع على الجانب الأيمن لنهر أترك، وبذلك يعد ضمن الأراضي الروسية وفقاً لاتفاق ١٨٦٩م، ولم تقطع الحكومة الفارسية اتصالاتها مع روسيا فقد توصلت إلى اتفاق ٦ آذار ١٨٨٦م ووافق الطرفان (الروسي - الفارسي) على تسوية للحدود فيما بينهما حيث وافقا على أن تبدأ من قلعة الكرد **Kurdi Fort** وتتبع الحدود مجرى نهر أترك القديم حتى مسافة(٢ كم) جنوبي دوشان قيري **Duchan Keri**، ثم تتجه إلى الغرب مسافة ١ / ٢ كم شمال خليج تشاه **Tchah**، ومن نقطة تفرع نهر أتك إلى عدة فروع تسير الحدود إلى الفرع الجنوبي والأخير حتى خليج حسين قلي بحيث يترك الخليج كليةً إلى روسيا[٢٧].

لقد نجحت روسيا في استخدام نفوذها في الدوائر الفارسية وتكلل نجاحها في عقد اتفاقية مع الحكومة الفارسية في ٢٨ تشرين الأول ١٨٩٠م تعهدت فيها الحكومة الفارسية بعدم إنشاء خطوط حديد في أراضيها ولمدة عشر سنوات تالية لتاريخ عقد

الاتفاقية. وبذلك وضعت بلاد فارس حداً ولو إلى حين لهذه المشكلة.

تركزت أنظار الروس منذ عام ١٨٩٩م نحو ميناء بندر عباس بما فيه الجزر الواقعة في مضيق هرمز، من أجل أن يكون المحطة التي ينشدها الروس. وقد عزز الروس ذلك عن طرق إرسال الطراد " جيلياك " الذي زار ميناء بندر عباس عام ١٩٠٠م. وتكررت الزيارات للسفن الروسية الحربية لهذا الميناء في السنوات التالية، مما يدل على إنها استهدفت أغراضاً سياسية في المنطقة[٢٨].

ويمكننا أن ندرج أهداف هذه الزيارات في الآتي:

١. الحصول على معلومات مهمة حول الوضع بالخليج والمناطق التي يستحسن للبواخر الروسية ارتيادها والوجود فيها[٢٩].
٢. ألفات نظر الدوائر السياسية البريطانية، والتلويح بأن بريطانيا ليست وحدها صاحبة النفوذ في المنطقة.
٣. إظهار الاتفاق بين السياستين الروسية والفرنسية تجاه الخليج العربي، وهذا ما تعكسه زيارة الطراد الروسي " بويارين " بصحبة الطراد الفرنسي "لانفرتيه" لمسقط وقيام قائدي الطرادين بمقابلة السلطان معاً[٣٠].
٤. تعريف سكان المنطقة بالروس ونشاطهم إذ كان يسمح للمواطنين أحياناً بالصعود إلى السفن الروسية ومشاهدتها، وقد أثارت هذه السفن وبالذات " فارباج " سكان موانئ الخليج وذلك لاستخدامها الإنارة الكهربائية الحديثة التي تفتقر إليها السفن الحربية البريطانية الموجودة في مياه الخليج العربي[٣١].

وفي آذار ١٩٠٠م وصلت بعثة روسية إلى طهران، ومنها اتجهت إلى اصفهان وشيراز، ثم ما لبثت أن اتجهت إلى أربعة مواقع مختلفة على الخليج وهي بوشهر والمحمرة وبندر عباس وشاهبار. وقد وصف القناصل الروس هذه البعثة بأنها (بعثة جغرافية) ولكن الصحف الروسية وصفت رئيس البعثة بأنه "مدير السكك الحديد" وأثبتت الدلائل بأن رجال هذه البعثة كانوا من المهتمين بالسكك الحديد، وقد أوفدوا إلى فارس لاختيار أفضل الطرق لمد خط حديد عبر القوقاز يقطع فارس في اتجاه الخليج، لكن أعضاء البعثة اظهروا تخوفهم من أن يتقاطع هذا الخط الحديد مع الخط الألماني في بغداد، ومع شبكة السكك الحديد الهندية[٣٢].

وعلى أية حال فقد كانت مشاريع السكك الحديد الروسية تثير المتاعب لبريطانيا، إذ كانت مشغولة آنذاك بحرب البوير في جنوب فرنسا (١٨٩٩ - ١٩٠٢م) إلا أن بريطانيا استطاعت أن تضع حداً لتلك المشروعات باتفاقية عام ١٩٠٧ م.

المبحث الثاني

الوفاق الروسي – البريطاني ١٩٠٧ م

أثار النشاط الروسي، وبخاصة محاولة الروس إيجاد مقر لهم في بندر عباس

الساسة البريطانيين الذين عارضوا ذلك بشدة، وقال أحدهم :(إذا ما سمحنا لروسيا بالتمركز في بندر عباس فأننا نكون قد تنازلنا عن جميع مراكزنا في الخليج العربي دفعة واحدة ... أن بندر عباس هو ميناء بريطاني منذ أيام شركة الهند الشرقية)[٣٣]، الأمر الذي صعد من التنافس والصدام بين الدولتين،

وفي ٣١ آب ١٩٠٧م اضطرت روسيا إلى عقد اتفاق مع بريطانيا تم بموجبه تسوية جميع الخلافات الرئيسة في الخليج العربي. وقسمت بلاد فارس بموجبه إلى ثلاث مناطق، شمالية تحت النفوذ الروسي، وجنوبية تحت النفوذ البريطاني، أما المنطقة الوسطى فقد جعلت منطقة حيادية، وبموجب الاتفاق اعترفت روسيا بمنطقة الخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية بلا منازع، واعترفت بالأفضلية البريطانية في جنوب إيران وإمارة الأهواز العربية[٣٤].

وبذلك خففت بريطانيا من التناقضات مع الروس ولكنها لم تقض على تلك التناقضات نهائيا، ومع ذلك تعرض الاتفاق للنقد من بعض الإنكليز الذين اعتقدوا أن بريطانيا لن تستفيد منه شيئاً، لأن منطقة النفوذ الروسي تشمل كرمنشاه وأصفهان، وحتى العاصمة الفارسية، وفي هذه المنطقة أغلب مصادر الثروة، في حين أن منطقة النفوذ البريطاني لم تكن غير مثلث صغير المساحة يقع على الخليج العربي.

وخلال الحرب العالمية الأولى(١٩١٤ م) انضمت روسيا إلى جبهة بريطانيا وفرنسا، وخلال الحرب قامت ألثورة الروسية عام ١٩١٧م وأعلن عن تأسيس الدولة الشيوعية لجمهوريات الاتحاد السوفيتي وتبع ذلك تغيرات سياسية كبيرة.

فكتب اللورد كرزن تقريراً يقول [٣٥]: (إن إنشاء ميناء على الخليج -الفارسي- هو حلم كل الوطنيين المتحمسين من أهل "الفولكا" ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر اضطراب في الخليج وقت السلم، وسيفسد توازن القوى الذي وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق، كما أنه سيلحق الضرر بتجارتنا المقدرة بعدة ملايين وسيثير القوميات المتعددة في هذه المنطقة وهي قوميات مستعدة للاشتعال والتطاحن)[٣٦] .

الخاتمة:

من خلال التتبع التاريخي لمسار السياسات الروسية الهادفة إلى التوسع الاستعماري المباشر أو غير المباشر من خلال إقامة مناطق للنفوذ أو مجالات حيوية للمصالح الروسية في مناطق مختلفة من العالم قد انتهت إلى الفشل التام، وأن محاولات محاكاة الدول الاستعمارية الكبرى التقليدية (إنكلترا وفرنسا) قد جر روسيا القيصرية إلى أحلام قادتها إلى الانهيار التام بل هي التي دفعت بها إلى السقوط النهائي.

إن أسباب إخفاقات السياسة الروسية في مد نفوذها في مناطق مختلفة من العالم عامة وإيران والخليج العربي خاصة يرجع إلى ما توصلنا إليه من الاستنتاجات

على أساس تحليل علمي موضوعي:

١. اعتبرت روسيا القيصرية نفسها الوريث الشرعي للإمبراطورية البيزنطية، لذا فهي عمدت إلى انتهاج سياسات تؤكد هذا الوهم وخاصة في عهد بطرس الكبير وكاثرينا. لذلك وجدت في القضاء على الوجود العثماني في عموم أوربا الوسطى والشرقية هدفها المركزي وأن موسكو (روما الثالثة) هي ملاذ كل العناصر السلافية وكل أتباع المذهب الارثدوكسي.

٢. إن معاهدة كولستان (المعاهدة الروسية - الفارسية المنعقدة عام ١٨١٣م) كانت بداية ولادة التنافس والذي يؤيده الوضع الدولي السائد حينذاك في المشرق والمغرب ولم تكن هناك منافسة بين بريطانيا وروسيا قبل التوقيع على هذه المعاهدة والتي كانت كارثة على فارس.

٣. إن المدة من (١٨١٣ - ١٨١٥م) لم تشهد ما يدل على ولادة تنافس بريطاني - روسي، ويلاحظ أن السياسة الروسية في هذه المرحلة أخذت تخطب ود فارس في السماح لها لإيجاد منفذ يمر من فارس إلى المياه الدافئة في الخليج العربي مستفيدة من معاهدة (كولستان ١٨١٣م) التي انتزعت روسيا بموجبها بعض المناطق في شمال فارس.

٤. إن الأحلام الروسية في الوصول إلى المياه الدافئة من خلال الهيمنة على المضايق وجعل البحر الأسود مفتوحاً ومتصلاً بالبحر الأبيض المتوسط وجعل مناطق تركيا الصغرى الحيوية (قارص، اردهان، باطوم) هي المنطلق صوب الخليج والشام عبر العراق، أخمدتها حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦م) التي خاضتها الدول الأوربية (بريطانيا، فرنسا، سردينيا) ليس دفاعاً عن الدولة العثمانية بل لكبح التطلعات الروسية صوب مناطق النفوذ التقليدية لهذه الدول.

هوامش البحث:

(١) بطرس الكبير (١٦٨٢ – ١٧٢٥ م) وسع حدود بلاده غرباً وجنوباً، واحتل قلعة ازوف، حارب السويد وبولندا، ونظم الجيش والإدارة والتعليم، بنى مدينة سان بطرسبرغ واتخذها عاصمة لروسيا، ألغى البطريركية ونصب نفسه رئيساً للكنيسة الأرثوذكسية، صاحب الوصية الشهيرة بـ(وصية بطرس) التي تدعو إلى الخروج إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط والخليج العربي وخليج عمان . ينظر: روبرت بالمر،تاريخ العالم الحديث،ترجمة :د.محمد حسين الامين، الموصل، ١٩٦٤،ص٣٦٤.

(٢) معاهدة كولستان: هي المعاهدة التي فرضت على ايران بعد خسارتها للحرب ١٨٠٤ـ ١٨١٣م وتوسط في عقدها السفير الانكليزي السير غور اوسلي بين كل من روسيا وبلاد فارس تخلت بموجبها فارس لروسيا بعض المناطق في شمال فارس كانت بمثابة منفذ جديد لروسيا على مياه الخليج الدافئة. ينظر صلاح العقاد: الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة بلا، ص١٣؛ وعلي رضا مرزا، الخليج عبر القرون والاعصار، منشورات مجمع الادب والفن الايراني،١٩٧٥، ص١١٤.

(٣) نقلا عن:عادل رضا، عُمان الخليج قضايا ومناقشات، ص ٢٢.

(٤) جليل الصفار، البحرين مالها وما عليها، (د . ت)، ص ٢٣.

(٥) صالح العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج ١٧٩٨-١٨١٠، مطبعة العاني، بغداد،ص ٢٢٦.

(٦) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص ١٦٦.

(7)Boulger , D . C. , England and Russia in central Asia , London , 1879 , II,

(٨) محمد أنيس، المصدر السابق، ص ١٦٦

(9) Malcolm,s letter to Lord Minto , the viceroy of India , Nov. 23, 1807 : kaya , op. Cit. I , p. 397.

(10) Ibid , 117 – 154 .

(١١) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٤٧

(١٢)عقدت المعاهدة في المعسكر الروسي قرب مدينة كولستان في منطقة قرة باغ في (١٢ تشرين الأول ١٨١٣ م) وصودق عليها في تفليس في ١٥ أيلول ١٨١٤ م . أنظر :

Aitchsion, op , cit. XII (1909) , Appendix v , pp. XI

(١٣) بموجب معاهدة بخارست عام ١٨١٢ م أنهت روسيا حرباً دامت بينها وبين الدولة العثمانية حوالي ست سنوات بصورة متقطعة، وبموجب ذلك احتلت منطقة بسارابيا ونالت حقوقاً واسعة فيها . أنظر: زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م، ص ٦٦٩ – ٧٧٥

(١٤) د . صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، ص ٤٦

(١٥) د . زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م، ص ١٤٧ ؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ – ١٩٤٧، دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٠م، ص ٨١

(١٦) للاطلاع على نص المعاهدتين، أنظر:

Hertslet Edward , Persian Treaties, etc. , concluded between Great Britain and Persia , and between Parsia and other powers , wholly or partially in force on the 1st April , 1891 , London , pp. 120 – 121

(17) Hertslet Edward , Persian Treaties, etc. , concluded between Great Britain and Persia , and between Parsia and other powers , wholly or partially in force on the 1st April , 1891 , London , pp. 120 – 121

(١٨) أرشيف وزارة الخارجية، ملف القسم الإيراني، إضبارة رقم ٤٠٦٣، رسالة لافرودوف وزير الخارجية الروسي بتاريخ ٥ / ١١ / ١٨٩٤م

(١٩) أرشيف وزارة الخارجية، ملف القسم الإيراني، إضبارة رقم ٤٠٦٣، رسالة لافرودوف وزير الخارجية الروسي بتاريخ ٥ / ١١ / ١٨٩٤م، ص ٦٢٣

(٢٠) بونداوبفسكي، السياسة البريطانية والعلاقات الدولية في الخليج العربي، موسكو، ١٩٦٨م، ص٣٢٣.

(21)F . O . 539 / 21 . No. 39 . Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran . Dated December 2 , 1881 . P. 22

(22) F . O . 539 / 24 . No. 233 . Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated December 8 , 1884 . p. 155

(23) Ibid. p. 155

(24) F . O . 539 / 22 . No.8. Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated December 12 , 1882 . p. 4

(25)Ibid. p . 4

(26)F . O . 539 / 23 . No. 68 . Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated January , 1884 . p. 51

(27)F . O . 539 / 39 . Inclosure No. 2 . in No. 41 . Protocol Regarding the line of frontier between persia and Trans Caspian from the Kurd Forth the Caspian sea . Chekislar . Dated March , 6 , 1886 . p. 33

(٢٨) Ibi ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مطبوعات علي بن علي، قطر، الطبعة الثانية، (د.ت)، ج١، ص ٥٢٣ – ٥٢٥.

(٢٩) بدر الدين الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي ١٧٨٧ - ١٩٠٧ م، دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، نيسان ١٩٧٩ م، ص ١١٩.

(٣٠) الوثائق الفرنسية، جمع ايزابيل بالو، عمان وفرنسا، صفحات من التاريخ، ترجمة السيد خزعل، طبع بمطابع شركة تيب، د . ت، ص ٢٢٢
(٣١) أرشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية F. 550 , L . 16، نقلاً عن عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي، ص ٦٢.
(٣٢) أرشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية F. 550 , L . 16، عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي، ص ٥٢٧.
(٣٣) مصطفى عبد القادر النجار: التاريخ السياسي لعلاقة العراق الدولية بالخليج العربي، البصرة، ١٩٧٥ م، ص ٤٥.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ٤٥.
(٣٥) نقلا عن : د . صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، ص ٤٦ – ٤٧ .
(٣٦) د . لـؤي بحري، الأوضاع الأجنبية في جزيرة أبو موسى العربية، كراس، منشورات وزارة الأعلام العراقية، ١٩٧١، ص ١٣.

الوثائق:

١. أرشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية، نقلاً عن عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي .
٢. أرشيف وزارة الخارجية، ملف القسم الإيراني، إضبارة رقم ٤٠٦٣، رسالة لافرودوف وزير الخارجية الروسي بتاريخ ٥ / ١١ / ١٨٩٤م .
٣. الوثائق الفرنسية، جمع ايزابيل بالو، عمان وفرنسا، صفحات من التاريخ، ترجمة السيد خزعل، طبع بمطابع شركة تيب، د . ت

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية والمعربة:

١. بدر الدين الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي ١٧٨٧ - ١٩٠٧ م، دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، نيسان ١٩٧٩ م.
٢. بهجت العاني، و بديع القدو، نحو سوق عربية مشتركة، ندوة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، بغداد، ١٩٧٥.
٣. بونداوبفسكي، السياسة البريطانية والعلاقات الدولية في الخليج العربي، موسكو، ١٩٦٨م .
٤. ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مطبوعات علي بن علي، قطر، الطبعة الثانية، د . ت .
٥. جليل الصفار، البحرين مالها وما عليها، د . ت .
٦. د. لؤي بحري، الأوضاع الأجنبية في جزيرة أبو موسى العربية، كراس، منشورات وزارة الأعلام العراقية،١٩٧١.
٧. زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م .
٨. سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٩ .
٩. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربية وجنوب الجزيرة، القاهرة، ١٩٦٠.
١٠. صالح العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج ١٧٩٨ – ١٨١٠، مطبعة العاني، بغداد .
١١. صبري الهيتي، الخليج العربي دراسة في الجغرافية السياسية، دار الرشيد، بغداد،٦ ١٩٨ .
١٢. صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة بلا، ص١٣؛ وعلي رضا مرزا، الخليج عبر القرون والإعصار، منشورات مجمع الأدب والفن الايراني،١٩٧٥ .
١٣. عادل رضا، عُمان الخليج قضايا ومناقشات، مصر، ١٩٦٩ .
١٤. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ – ١٩٤٧، دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٠م .
١٥. محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة .
١٦. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقة العراق الدولية بالخليج العربي، البصرة، ١٩٧٥ م .

ثانيا: باللغة الانكليزية:

1. Boulger , D . C. , England and Russia in central Asia , London , 1879.
2. Malcolm,s letter to Lord Minto , the viceroy of India , Nov. 23, 1807 : kaya .
3. Aitchsion, op , cit. XII (1909) , Appendix v , pp. XI .
4. Hertslet Edward , Persian Treaties, etc., concluded between Great Britain and Persia , and between Parsia and other powers , wholly or partially in force on the 1st April, 1891, London , 1891.
5. F. O. 539/ 21. No. 39. Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran. Dated December 2, 1881.
6. F. O. 539 / 24 . No. 233 . Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated December 8, 1884.
7. F. O. 539 / 22. No. 8. Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated December 12 , 1882 .
8. F. O. 539 / 23. No. 68. Mr. Thomson to Earl of Granville Tehran Dated January , 1884.
9. F. O. 539 / 39. Inclosure No. 2. in No. 41. Protocol Regarding the line of frontier between persia and -Trans Caspian from the Kurd Forth the Caspian sea . Chekislar . Dated March, 6, 1886.